

اللاجئون السوريون في لبنان؛ ضحية ضعف الدولة اللبنانية ومسارات التطبيع

إضاءات تحليلية ضمن مسار الراصد تصدر عن الوحدة المجتمعية

11 شوال 1444 هـ - 1 مايو/أيار 2023 م

شهد لبنان منذ بداية شهر نيسان 2023 تصاعد موجات العداء ضد اللاجئين السوريين بشكل غير مسبوق، رافق ذلك قيام الجيش اللبناني وفرق من الأمن بملاحقة السوريين والقبض عليهم وترحيل بعضهم قسراً إلى الحدود السورية، وتسليم بعضهم بشكل مباشر لقوات نظام الأسد؛ في انتهاك صارخ لحقوق اللاجئين المتفق عليها دولياً. يُلقي هذا التقرير المختصر الضوء على تطورات هذه الأزمة منذ بدايتها، وذلك عبر استعراض ما نشرته وسائل الإعلام اللبنانية والعربية حول هذه القضية، وما أورده ناشطون سوريون ولبنانيون متابعون للأوضاع في لبنان.

ملف اللاجئين إلى صدارة المشهد السياسي اللبناني مجدداً

بدأ موضوع إعادة اللاجئين السوريين في لبنان إلى بلادهم يتصدر الرأي العام بشكل كبير في شهر أكتوبر/تشرين الأول من العام الماضي، وذلك بعد أن أعلن الرئيس اللبناني ميشيل عون عن عزمه تنفيذ خطة جديدة أعلنها أحد وزرائه قبل شهرين بشكل مستقل دون التعاون مع المنظمات الأممية تقضي بترحيل 15 ألف لاجئ سوري إلى بلادهم شهرياً، بحجة انتهاء الحرب في سوريا وإمكانية عودة اللاجئين إليها بأمان¹.

وكانت تلك الخطة قد أعلنها وزير المهجرين اللبناني "عصام شرف الدين" في شهر آب/أغسطس من عام 2022، وتقوم على التفاوض مع نظام الأسد لتحديد المناطق الآمنة داخل سوريا وإعطاء اللاجئين الموجودين في لبنان مهلة للعودة إلى تلك المناطق².

تتذرع السلطات اللبنانية بأن وضع اللاجئين في لبنان لم يعد يُحتمل، خصوصاً في ظل الأزمة الاقتصادية والفقر المدقع الذي أثر في حياة نسبة كبيرة من المواطنين اللبنانيين؛ إذ تدعي أن كلفة وجود اللاجئين السوريين في لبنان تُقدر بنحو 3 مليار دولار سنوياً، مقابل دعم دولي غير كافٍ، ومطالبة الأمم المتحدة بدفع تعويضات بقيمة 30 مليار

¹ "اللاجئون السوريون: لبنان سيبدأ في إعادتهم إلى ديارهم نهاية الأسبوع المقبل"، BBC العربية، 2022/10/12: <https://2u.pw/yMGCCQ>

² "خطة لبنانية لإعادة اللاجئين السوريين"، الأناضول، 2022/8/12: <https://2u.pw/quwOGF>

دولار عن السنوات الماضية، والتعاون مع الخطط اللبنانية التي تهدف لإعادة اللاجئين بعد أن صار الوضع في سوريا "مستقراً وأمناً"³.

وتنصّ الخطة على إعادة 15 ألف لاجئ ممن تعود أصولهم إلى تلك المناطق "الآمنة" كل شهر، بمعدل يصل إلى قرابة 180 ألف لاجئ في السنة، على أن يكونوا محميين ولهم مراكز إيواء مؤمنة في بلادهم، مع كافة مستلزمات العيش والحياة، من بنى تحتية وكهرباء ومياه صرف صحي وطرق ومدارس وغير ذلك⁴.

وقد قُوبلت هذه الخطة بانتقادات منظمات دولية من بينها "هيومن رايتس ووتش" باعتبارها "خطة غير آمنة، وغير قانونية"، مشيرة إلى أنّ اللاجئين السوريين الذين عادوا بين 2017 و2021 واجهوا انتهاكات حقوقية جسيمة؛ إذ تعرّضوا للختف والتوقيف والاعتقال والتعذيب والقتل، وذلك رغم نيلهم الإذن من المخابرات السورية⁵.

من التحريض إلى التنفيذ

لم تقم السلطات اللبنانية بأية خطوة عملية في الأشهر اللاحقة لإعلان الخطة، باستثناء حملة من التصريحات الإعلامية الواسعة تضمنت العديد من الافتراءات والأخبار الكاذبة، في محاولةٍ لكسب القبول الشعبي وتهيئة الرأي العام؛ فبدأت بشيطنة وجود اللاجئين السوريين في لبنان، وبتحميلهم مسؤولية كل المشاكل التي تعاني منها البلاد، خاصة أزمة الوقود والقمح، ومهاجمة مفوضية اللاجئين بسبب تقديمها مساعدات للاجئين السوريين؛ حيث ادّعت الحكومة اللبنانية أن قيمة المساعدات تتجاوز رواتب الوزراء وموظفي الدرجة الأولى في القطاع العام⁶.

وقد شهدت الأشهر اللاحقة جرائم عنصرية تم على إثرها قتل لاجئين سوريين وحرق آخرين في بعض المخيمات، وتعرض بعض العمال السوريين للضرب والاستهداف والسرقة خلال ذهابهم للعمل، وانتشرت فيديوهات مهينة تظهر عمليات تعذيب تعرض لها عدد من الشبان السوريين واللبنانيين، بينهم قاصرون، بالإضافة إلى ارتفاع وتيرة عمليات الاعتقال التي قامت بها مخابرات الجيش اللبناني والقوى الأمنية بتهم تتعلق بالإرهاب، وتعرضهم للتعذيب وحرمانهم من الحصول على المحاكمة العادلة⁷.

³ المرجع السابق.

⁴ عون: بعد انتهاء ترسيم الحدود البحرية ستبدأ عودة اللاجئين السوريين الأسبوع المقبل، العربي الجديد، <https://bit.ly/3HfDNJB>:2022/10/12

⁵ المرجع السابق.

⁶ الاحتقان بلغ ذروته.. اللاجئين السوريون ضحية الانهيار الاقتصادي بلبنان، تلفزيون سوريا، <https://2u.pw/UqJfxq>:2023/4/2

⁷ بلا سند.. اللاجئين السوريون في مواجهة خطة ترحيل لبنانية، عنب بلدي، تاريخ النشر 2022/7/31، <https://bit.ly/3V9WPqM>

وفي مطلع شهر نيسان 2022 تجددت التصريحات العنصرية بوتيرة متسارعة، كان من أبرزها تصريح البطيريك الماروني بشارة الراعي الذي ادعى فيه بأن السوريين يعكرون الأمن الاجتماعي للبنان⁸، وتلاه إطلاق الاتحاد العام لنقابات عمال لبنان حملة أسماها "الحملة الوطنية لتحرير لبنان من الاحتلال الديموغرافي السوري"⁹.

وتزامنت حملات التحريض تلك مع حملات أخرى شنها الجيش اللبناني والمخابرات اللبنانية، تحت ذريعة ملاحقة المخالفين قانونياً، وقام باعتقال مئات اللاجئين السوريين، بعضهم من المطلوبين أمنياً لنظام الأسد في مناطق برج حمود وعاليه وزحلة والشوف وبر إلياس، بينهم عوائل كاملة وأطفال، وتم نقل العديد منهم إلى نقاط حدودية مع سوريا قرب مدينة القصير، أو تسليمهم مباشرة لنظام الأسد الذي باعتقال بعضهم وسوقهم إلى الخدمة العسكرية الإلزامية. وقد بلغ عدد السوريين المعتقلين في لبنان خلال شهر نيسان فقط قرابة 450 شخصاً، وقد يكون العدد مرشحاً للزيادة بعد ذلك في ظل تصاعد الحملات العدائية ضد السوريين¹⁰.

ونقل عدد من الناشطين المتابعين لتطورات الأوضاع في لبنان شهادات من لاجئين سوريين داخل لبنان حول ما يجري مؤخراً، أظهرت جانباً من رعب السوريين في لبنان من الحملة الأخيرة عليهم بهدف ترحيلهم وتسليمهم لنظام الأسد، لاسيما مع التحقق من ترحيل 168 لاجئاً سورياً بينهم العديد من المنشقين عن نظام الأسد أو المطلوبين له بسبب نشاطهم في الثورة السورية، بما يعنيه تسليمهم للنظام من اعتقالهم واختفائهم¹¹.

وتدعي السلطات اللبنانية أن الحملات الأمنية الأخيرة تستهدف السوريين المخالفين للقانون؛ إما بدخولهم البلاد بشكل غير شرعي، وإما لعدم حملهم إقامة شرعية سارية المفعول¹²، وإما تحت ذريعة تنظيم العمالة الأجنبية وتسوية أوضاعها، وتنظيم حركة تجول النازحين الأجانب حفاظاً على السلامة والأمن العام¹³. إلا أن شهادات النشطاء تشير إلى أن السلطات اللبنانية عقدت عمليات الحصول على الإقامة أو تجديدها، بشكل جعل العديد من السوريين يسقط في خانة المخالفين رغماً عنهم¹⁴.

⁸ "بشارة الراعي: لبنان يتلقى ضربات حروب لم يقرها، والسوريون يعكرون الأمن الاجتماعي"، تلفزيون سوريا، 2023/4/8، <https://2u.pw/Hi41CX>

⁹ إطلاق "الحملة الوطنية لتحرير لبنان من الاحتلال الديموغرافي السوري"، النهار، 2023/4/21، <https://2u.pw/Ggzkp8>

¹⁰ منشور لمنصة ميغافون على فيسبوك، 2023/4/25، <https://2u.pw/vRfiHW>

¹¹ شهادات نشرها الصحفي قتيبة ياسين عبر حسابه في تويتر، 2023/4/26، <https://2u.pw/MvlK0e>

¹² "الحكومة اللبنانية تنهك مبدأ عدم الإعادة القسرية للاجئين وتعيد 168 لاجئاً سورياً منذ بداية نيسان/ 2023 وحتى الآن"، الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 2023/4/27، <https://2u.pw/avr7Xd>

¹³ حفاظاً على الأمن العام... تميم لنها عن تنظيم العمالة الأجنبية، موقع صحافة، تاريخ النشر 2023/4/25، <https://bit.ly/3HfUnjG>

¹⁴ مقطع نشره الصحفي قتيبة ياسين على حسابه في تويتر، 2023/4/22، <https://2u.pw/a6S1lh>

وقد أصدرت السلطات اللبنانية في 26 نيسان 2023 مجموعة قرارات بخصوص التعامل مع اللاجئين السوريين، كان أبرزها تأكيد التشديد في تطبيق التدابير القانونية ضد المخالفين، والتشديد في تطبيق باقي القوانين على اللاجئين السوريين النظاميين، والاستمرار في متابعة العودة الطوعية للاجئين السوريين، وإسقاط صفة "النازح" عن كل سوري يغادر الأراضي اللبنانية، واستمرار التنسيق مع نظام الأسد لتسليم المطلوبين والمحكومين له الموجودين في لبنان بشكل فوري¹⁵.

تجدد الموقف الشعبية والدولية من حملة الترحيل

مع تصاعد الاحتقان مؤخراً ظهرت دعوات بين السوريين للتظاهر أمام مقرّ مفوضية اللاجئين في بيروت للاحتجاج على الحملات الأخيرة التي نفذتها الحكومة اللبنانية، والتي جعلت الأخيرة تتخذ قرارات بنشر تعزيزات أمنية مكثفة أمام مقرّ المفوضية لمنع أي مظاهرات أو صدامات قد تخلّ بالأمن¹⁶.

وقد أثارت الحملة المعادية للاجئين السوريين استياء العديد من الجهات اللبنانية والدولية؛ إذ نشرت هيئة العلماء المسلمين في لبنان بياناً تضامنياً مع اللاجئين السوريين استنكرت فيه ترحيلهم قسراً¹⁷، كما استنكر الحزب التقدمي الاشتراكي عمليات ترحيل اللاجئين قسراً، وطالب بالالتزام بمبادئ حقوق الإنسان¹⁸، وأدان مركز "وصول" اللبناني لحقوق الإنسان هذه الخطوات ودعا الحكومة اللبنانية لاحترام حقوق الأفراد على النحو المنصوص عليه في القانون الدولي¹⁹.

كما طالبت منظمة العفو الدولية مجدداً بإيقاف عمليات ترحيل اللاجئين السوريين من لبنان على الفور، مؤكدةً ضرورة احترام مبدأ عدم الإعادة القسرية المعترف به دولياً، خصوصاً في ظل تصاعد احتمالات تعرّض اللاجئين المرحّلين قسراً لخطر التعذيب والاضطهاد على يد قوات نظام الأسد²⁰.

¹⁵ "لبنان يتخذ إجراءات بحق اللاجئين السوريين هذه أبرزها"، أفاق نيوز، 2023/4/26: <https://2u.pw/a5ktSm>

¹⁶ "بالصور - على وقع التوتر في ملف النازحين... تعزيزات أمنية أمام المفوضية في الجناح"، النهار، 2023/4/26: <https://2u.pw/pMDHZp>

¹⁷ بيان لهيئة علماء المسلمين في لبنان عبر صفحتها في فيسبوك، 2023/4/26: <https://2u.pw/E1iElz>

¹⁸ "الاشتراكي" يستنكر "عمليات الترحيل القسري": إعادة النازحين لا تتم إلا بشروط طوعية وأمنة"، النهار، 2023/4/22: <https://2u.pw/TQsEd7>

¹⁹ "منظمة حقوقية لبنانية تدين عمليات الترحيل القسري الجماعية للاجئين السوريين"، تلفزيون سوريا، 2023/4/19: <https://2u.pw/ciD2BJ>

²⁰ "لبنان: يجب على السلطات وقف عمليات الترحيل غير القانونية للاجئين السوريين"، منظمة العفو الدولية، 2023/4/25: <https://2u.pw/9H3mrW>

ومن جهته، طالب أشرف ريفي أحد النواب اللبنانيين بخروج ميليشيا "حزب الله" من قرى وبلدات سوريا أولاً ليعود اللاجئون السوريون إلى أراضيهم، محملاً كلاً من نظام الأسد و"حزب الله" مسؤولية تهجير الشعب السوري واحتلال قرى اللاجئين ومدنهم وتدميرها، واعتبارهم المسؤولين الأساسيين عن استمرار كارثة اللجوء²¹.

الخاتمة

من الصعب اعتبار ما تقوم به الحكومة اللبنانية مبادرة فردية، لاسيما وأن وزير المهجرين اللبناني أعلن عن خطته في إعادة اللاجئين بالتزامن مع حديثه عن تشكيل لجنة ثلاثية تضم نظام الأسد ومفوضية شؤون اللاجئين، وعقب تشكيل لجنة رباعية تتكوّن من تركيا والعراق والأردن ولبنان اجتمعت عدة مرات لمناقشة موضوع عودة اللاجئين²². ومن الصعب عزل سياق هذه الخطوة عن مسار التطبيع المحموم الذي ترعاه بعض الدول العربية واستغلت مأساة الزلزال الذي حدث في سوريا لإعادة العلاقات السياسية مع نظام الأسد تحت بند الدبلوماسية الإنسانية²³، وعملت على إحداث حراك دبلوماسي سياسي يهدف إلى إعادة العلاقات العربية مع نظام الأسد بعد سنوات من القطيعة، مستغلة حالة التجاهل الأوروبي الأمريكي.

ويشير المشهد العام إلى أن الأمور ستتجه نحو مزيدٍ من الضغط والتضييق بهدف إجبار اللاجئين على العودة، خاصة مع غياب أية مساعٍ قانونية أو حقوقية دولية جادة لإيقاف هذا المسار، وسيظلّ اللاجئون في كل مكان - خاصة في لبنان- ورقة للابتزاز السياسي من أجل الحصول على المساعدات، وشماعة تُلقى عليها الحكومات مسؤولية إخفاقاتها المتكررة.

²¹ "أشرف ريفي": أخرجوا "الحزب" من سوريا ليعود السوريون إلى أراضيهم، بلدي نيوز، تاريخ النشر 2023/4/26.

²² بلا سند... اللاجئون السوريون في مواجهة خطة ترحيل لبنانية، مرجع سابق.

²³ للمزيد يمكن الرجوع إلى التقرير التالي: "قراءة تحليلية في مدى تغيير مواقف الدول من نظام الأسد؛ مجرد ضوضاء أم زلزال سياسي؟"، مركز الحوار السوري، 2023/3/2، <https://bit.ly/3naAZ9X>